منهج القسطلاني
في كتابه إرشاد الساري

دكتورة/ أريج بنت عبدالله العيسى
الأستاذ المساعد بقسم السنة وعلومها، كلية أصول الدين
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنـــا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إلـــه إلا الله وحـــده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

أما بعد:

فإن أهم ما صرفت إليه الهمم بعد كتاب الله الكريم سنة نبيه المـــصطفى الأمـــين ﷺ، إذ هي المصدر الثاني من مصادر هذا الدين القويم، وهي المفسرة لكلام أحكم الحـــاكمين، وعليه فإن الاشتغال بها من خير ما بُذِلَت فيه الأوقات، وأُفْنِيَت فيه الساعات.

وإن من فضل الله على هذه الأمة أن قيض لها - على مر العصور والأجيـــال - مـــن يتصدرون لخدمة السنة ودراستها، وتمييز صحيحها من سقيمها، حتى تركوا لنا تراثـــاً ضخماً يتمثل في تلك المصنفات الضخمة والأسفار العظيمة في مختلـــف فـــروع علـــم السنة وما يتعلق بها.

ومن هؤلاء الأئمة الحفاظ الذين قيضهم الله جل وعلا لخدمـــة ســـنة نبيـــه ﷺ، الإمـــام المحدث الفقيه أبو العباس أحمد بن محمد القسطلاني رحمه الله، فقد خدم السنة النبويـــة، وصنف فيها من التصانيف النافعة المفيدة التي لا تزال عمدة في أبوابها، ومـــن ضـــمن تلك المصنفات التي ألفها كتابه الموسوم بـــ (إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري).

وهو كتاب جمٌّ الفوائد عظيم في بابه، ولذا رأيت إبراز منهجه رحمه الله في كتابه فـــي بحث مختصر بعنوان: ((منهج القسطلاني في كتابه إرشاد الساري)).

أهمية الموضوع وأسباب اختياره:

١. قيمة الكتاب ومكانته العلمية، حيث تعلق كتابه بشرح أصح كتب الحديث.

٢. الحاجة إلى معرفة الخطوط العريضة لمنهج الإمام القسطلاني في كتابه إرشاد الساري.

٣. محاولة الإسهام ولو بشيء يسير في خدمة ما خلفه أئمتنا من مؤلفات ضخمة تحمل في طياتها علماً جماً وفوائد غزيرة.

أهداف الموضوع:

١. إبراز منهج القسطلاني في شرحه لصحيح البخاري.

٢. جمع مايفي من النماذج لبيان منهجه رحمه الله، وطريقته في نقد الأسانيد والمتون، والحكم على الأحاديث.

٣. بيان أهم مصادره في الشرح.

الدراسات السابقة:

لم أجد بعد التتبع والنظر في فهرسة المكتبات والبحث الالكتروني إلى دراسة مستقلة لهذا البحث.

حدود البحث:

تحليل منهج القسطلاني في كتابه إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري.

مشكلة البحث:

الإجابة عن الأسئلة الآتية:

- ما منهج القسطلاني في شرحه، وتراجمه وكلامه على الرواة؟
- ما طريقته في نقد الأسانيد والمتون والحكم على الأحاديث؟
- ما أهم مصادره في الشرح؟

خطة البحث:

يشتمل البحث على (مقدمة، وستة مباحث، وخاتمة، وفهارس)

المقدمة وتشتمل على:

- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.
- أهداف الموضوع.
- الدراسات السابقة.

- حدود البحث.
- مشكلة البحث.
- خطة البحث.
- منهج البحث.

المبحث الأول: ترجمة مختصرة للإمام القسطلاني.

المبحث الثاني: قيمة الكتاب العلمية.

المبحث الثالث: التعريف بالكتاب ومنهجه في الشرح.

المبحث الرابع: منهجه في تراجم الرواة.

المبحث الخامس: طريقته في الكلام على الأسانيد والمتون والحكم على الأحاديث.

المبحث السادس: مصادره ومراجعه.

الخاتمة، وتشتمل على أهم نتائج البحث.

الفهارس، وتشتمل على:

- فهرس المصادر.
- فهرس الموضوعات.

- **منهج البحث:**

١. سأسلك في بحثي هذا المنهج الوصفي الاستقرائي؛ لجمع المادة العلمية التي تفي ببيان الخطوط العريضة لمنهج الإمام القسطلاني في شرحه.

٢. أذكر بعض النماذج المؤيدة لما سأذكره في المتن، وأضيف نماذج أخرى عند الحاجة في حواشي البحث.

٣. سأترجم ترجمة مختصرة لمن سيذكر في هذا البحث من العلماء.

٤. أوثق ما أنقله في الحواشي، مع بيان معلومات المصدر في الفهرس المعد لذلك.

المبحث الأول : ترجمة مختصرة للإمام القسطلاني[١]

أولاً: التعريف به، وذكر بعض شيوخه وتلاميذه، ووفاته:

أَحْمد بن مُحَمَّد بن أبي بكر بن عبد الملك بن الزين أَحْمد بن الجمال مُحَمَّد بن الصفي مُحَمَّد بن المجْد حُسَيْن بن التَّاج عَليّ الْقُسْطَلَانِيّ الأَصْل، الْمصْرِيّ الشَّافِعِي، وَيعرف بالقسطلاني[٢]، ولد في الثاني عشر من شهر ذي القعدة سنة إحدى وخمسين وثمانمائة بمصر ونشأ بها.

من شيوخه:

١. السخاوي، وهو مُحَمَّد بن عبد الرَّحْمَن بن مُحَمَّد بن أبي بكر(٩٠٢هـ)[٣].

٢. النشار، عمر بن قاسم بن محمد بن علي الأنصاري، أبو حفص (٩٣٨هـ)[٤].

٣. خَالِد بن عبد الله بن أبي بكر الْأَزْهَرِي الشَّافِعِي النَّحْوِيّ، وَيعرف بالوقاد (٩٠٥هـ)[٥].

ومن تلاميذه:

١. بدر الدين الغزي محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بدر بن عثمان والد نجم الدين الغزي صاحب كتاب الكواكب السائرة(٩٨٤هـ)[٦].

٢. أبو القاسم عبد العزيز بن فهد المكي الشافعي الشهير بابن فهد المكي (٩٢٠هـ)[٧].

وفاته: توفي في محرم سنة ثلاث وعشرين وتسعمائة، وعاش اثنتين وسبعين سنة، ودفن بالمدرسة العينية جوار منزله بعد أن صلي عليه في الجامع الأزهر.

---

(١) ينظر في ترجمته: محمد بن عبد الرحمن السخاوي، "الضوء اللامع لأهل القرن التاسع". (بيروت: دار مكتبة الحياة)، ٢: ١٠٣؛ عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروسي، "النور السافر عن أخبار القرن العاشر". تحقيق: أحمد حالو، محمود الأرنؤوط، أكرم البوشي، (ط١، بيروت: دار صادر، ٢٠٠١م)، ص:١٠٦؛ نجم الدين محمد بن محمد الغزي، "الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة". وضع حواشيه: خليل منصور، (ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨ه)، ١: ١٢٨؛ عبد الحي بن أحمد العكري، "شذرات الذهب في أخبار من ذهب". تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط، (ط١، دمشق: دار بن كثير، ١٤٠٦هـ)، ١٠: ١٦٩؛ محمد بن عبدالرحمن بن الغزي، "ديوان الإسلام". تحقيق: سيد كسروي حسن، (ط:١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م)، ٤: ١٨؛ محمد بن علي الشوكاني، "البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع". (بيروت: دار المعرفة)، ١: ١٠٢؛ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، "فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات". تحقيق: د. إحسان عباس، (ط:٢، بيروت: دار العربي الإسلامي،١٤٠٢هـ)، ٢: ٩٦٧؛ خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي، "الأعلام". (ط: ١٥، دار العلم للملايين، ٢٠٠٢ م)، ١: ٢٣٢؛ عمر رضا كحالة، "معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية". (مؤسسة الرسالة)، ٢: ٨٥؛ إلياس بن أحمد حسين الساعاتي، "إمتاعُ الفُضَلاء بتَراجِم القرَّاء فِيما بَعدَ القَرن الثامن الهِجري". تقديم: محمَّد تميم الزَّعبي، (ط:١، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠ م)، ٢: ٤١.

(٢) نسبة إلى قسطلينة من إقليم إفريقية، ينظر: إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون، "الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب"، (بيروت: دار الكتب العلمية)، ٦٧.

(٣) ينظر ترجمته في: عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، "نظم العقيان في أعيان الأعيان"، تحقيق: فيليب حتي. (بيروت: المكتبة العلمية)؛ ص:١٥٢؛ الغزي، " الكواكب السائرة"، ١: ٥٣؛ الشوكاني، "البدر الطالع"، ٢: ١٨٤.

(٤) ينظر ترجمته في: الزركلي، "الأعلام"، ٦: ١٩٤؛ محمد بن محمد بن يوسف ابن الجزري، "غاية النهاية في طبقات القراء". (ط:١، برجستراسر: مكتبة ابن تيمية، ١٣٥١هـ)، ١: ٥٩٥.

(٥) ينظر ترجمته في: السخاوي، "الضوء اللامع"، ٣: ١٧١؛ الغزي، " الكواكب السائرة"، ١: ١٩٠.

(٦) ينظر ترجمته في: الغزي، " الكواكب السائرة"، ٣: ٤؛ الشوكاني، "البدر الطالع"، ٢: ٢٥٢؛ الكتاني، "فهرس الفهارس"، ١: ٢١٨.

(٧) ينظر ترجمته في: السخاوي، "الضوء اللامع"، ٤: ٢٢٤؛ الغزي، " الكواكب السائرة"، ١: ٢٣٩؛ ابن العماد، "شذرات الذهب"، ١٠: ٤٣٢.

ثانياً: صفاته وأخلاقه وثناء العلماء عليه:

قال السخاوي: ((وَهُوَ كثير الأسقام، قَانِع، متعفف، جيد الْقِرَاءَة لِلْقُرْآنِ، والحَدِيث، والخطابة، شجي الصَّوْت بهَا، مشارك فِي الْفَضَائِل، متواضع، متودد، لطيف الْعِشْرَة، سريع الْحَرَكَة))[1].

وقال العيدروس: ((كَانَ إِمَامًا حَافِظًا متقناً، جليل القدر، حسن التَّقْرِير والتحرير، لطيف الإِشَارَة، بليغ العبارَة، حسن الجمع والتأليف، لطيف التَّرْتِيب والترصيف...))[2].

وقال الغزي: ((الإمام العلامة، الحجة الرحلة الفهامة، الفقيه النبيه المقري المجيد المسند المحدث أبو العباس شهاب الدين القسطلاني المصري، ..... وكان من أزهد الناس في الدنيا، وكان منقاداً إلى الحق من رد له سهواً أو غلطاً يزيد في محبته، ....، ونقل عن العلائي: إنه كان فاضلاً محصلاً ديناً عفيفاً متقللاً من عشرة الناس إلا في المطالعة والتأليف والإقراء والعبادة..ونقل أيضاً عن الشعراوي: كان من أحسن الناس وجهاً، طويل القامة، حسن الشيب))[3].

ثالثاً: مذهبه الفقهي:

القسطلاني شافعي المذهب[4]، وقد صرح بمذهبه في بعض المواضع من شرحه، من ذلك ما جاء في شرحه على حديث في كتاب العلم، وفيه ((....وَلاَ يُقْتَلُ مُسْلِمٌ بِكَافِرٍ))، قال: ((وحرمة قصاص المسلم بالكافر، هو **مذهب إمامنا الشافعي**، ومالك، وأحمد، والأوزاعي، والليث، وغيرهم من العلماء، خلافًا للحنفية))[5].

وغالباً مايقرر مذهب الشافعية ويجيب عن الاعتراضات عليه، ومع ذلك فإنه ينقل أقوال المذاهب الأخرى ويبين أدلتهم أحيانا باختصار، من ذلك قوله في باب السجود عَلَى الثَّوْبِ فِي شِدَّةِ الْحَرّ بعد أن وضح المعنى المقصود: ((...واستنبط منه أبو حنيفة -أراد حديث الباب -جوازًا السجود على كور العمامة، وكرهه مالك ومنعه الشافعية؛ محتجّين بأنه كما لم يقم المسح عليها مقام الرأس وجب أن يكون السجود كذلك، ولأن القصد من السجود التذلّل وتمامه بكشف الجبهة))[6]، وقد يقتصر على ذكر رأي الشافعية دون أن يشير إلى غيرهم، كقوله في باب: ((إِذَا قَالَ: الْخَاطِبُ لِلْوَلِيِّ: زَوِّجْنِي فُلاَنَةَ فَقَالَ: قَدْ

(١) ينظر: السخاوي، "الضوء اللامع"، ٢: ١٠٤.

(٢) ينظر: العيدروس، "النور السافر"، ص: ١٠٧.

(٣) ينظر: الغزي، " الكواكب السائرة"، ١: ١٢٨.

(٤) كما ورد في ترجمته، وسيأتي في مصنفاته: بعض مؤلفاته في فقه الشافعية.

(٥) ينظر: أحمد بن محمد بن أبي بكر القسطلاني، "إرشاد الساري"،"إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري". (ط:٧، مصر: المطبعة الكبرى الأميرية، ١٣٢٣ ه)، ١: ٢٠٤، وانظر على سبيل المثال ١: ٣٣٧، ٤٠١، ٤: ٢٢٤.

(٦) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ٤٠٨، وانظر على سبيل المثال ١: ٤٣٢، ٤: ٢١٧.

زَوَّجْتُكَ بِكَذَا وكَذَا، جَازَ النِّكَاحُ وَإِنْ لَمْ يَقُلْ لِلزَّوْجِ أَرَضِيتَ أَوْ قَبِلْتَ،..... وهذا مذهب الشافعية لوجود الاستدعاء الجازم....))[1].

رابعاً: مذهبه العقدي:

تأثر القسطلاني رحمه الله بالمذهب الأشعري، وهذا يظهر جلياً في كتابه، فمما يدل على أشعريته:

١. أنه يذكر بعض الأحاديث، ويشير إلى الخلاف فيها، ثم يعقب عليها بذكر مذهب الأشاعرة، من ذلك قوله في باب فضل الصوم في حديث أبي هريرة ﷺ وفيه: ((وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ...))، قال بعد أن أشار إلى الخلاف في تفسيره: .... قال ابن المنير: لكنه يوصف بأنه تعالى عالم بهذا النوع من الإدراك، وكذلك بقية المدركات المحسوسات يعلمها تعالى على ما هي عليه؛ لأنه خالقها ألا يعلم من خلق، **وهذا مذهب الأشعري**[2].

٢. يذكر مذاهب الفرق الأخرى ويجيب عليها، كقوله في حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ: ((يَدْخُلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى أَخْرِجُوا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، ...

وفي هذا الحديث الرد على **المرجئة** لما تضمنه من بيان ضرر المعاصي مع الإيمان، وعلى **المعتزلة** القائلين بأن المعاصي موجبة للخلود في النار))[3].

٣. تأويله بعض صفات الله تعالى، كقوله في تأويل صفة الضحك لله: ((ونسبة الضحك والتعجب إلى الباري جل وعلا مجازية والمراد بهما الرضا بصنيعهما))[4]، ومن ذلك قوله في تأويل بعض الصفات: ((والحاصل: أن الصفات التي لا يليق وصفه تعالى بها على الحقيقة تؤوّل بما يليق به تعالى، فتحمل على آثارها ولوازمها كحمل الغضب على العذاب، والرحمة على الإحسان، فيكون ذلك من صفات الأفعال، أو يحمل عن أن المراد بالغضب مثلاً إرادة الانتقام، وبالرحمة إرادة الإنعام والإفضال، فيكون من صفات الذات))[5].

---

(١) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ٨: ٥٦، وانظر على سبيل المثال: ١: ٣١٦، ٤: ٢١٧.

(٢) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ٣: ٣٤٦، وانظر على سبيل المثال ١: ٨٧-٢١٩، ومسألة تفضيل القرآن بعضه على بعض ٧: ٥، ٤٤٣، ومسألة تفضيل بعض أسماء الله تعالى على بعض ٩: ٢٣٥، ١٠: ٣٧٥-٣٧٦.

(٣) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ١٠٦، وانظر على سبيل المثال ١: ١٠٨، ١١١، ١٣٥، ٤٨٧، ٥: ١٠١، ١٠: ٢١٢، ٤٥٤.

(٤) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ٦: ١٥٦.

(٥) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ٤: ٤٠٣، وانظر على سبيل المثال تأويله في صفة الرحمة ٩: ٢٦٩، والكلام ١٠: ٤٤٥.

٤. خالف السلف في باب العبادة والسلوك، إذ كان له اعتقاد تام في الصوفيه،.... وكان يميل إلى الغلو في رفع قدر النبيﷺ[١].

ثالثاً: مؤلفاته:

ذَكَر من ترجم له كتباً كثيرة[٢]، منها:

١. إرشاد الساري بشرح صحيح البخاري، وسيأتي التعريف به، وهو موضوع هذا البحث.

٢. منهاج الابتهاج فى شرح الجامع الصحيح لمسلم بن الحجاج، وهو إلى نحو نصفه في ثمان مجلدات.

٣. نفائس الأنفاس في الصحبة واللباس.

٤. تحفة السامع والقاري بختم صحيح البخاري.

٥. لطائف الإشارات لفنون القراءات.

٦. المواهب اللدنية بالمنح المحمدية.

٧. الإسعاد في تلخيص الإرشاد وهو في فروع الشافعية لشرف الدين المقرئ.

وله كتب أخرى غير هذه، ذكرها من ترجم له.

المبحث الثاني: قيمة الكتاب العلمية

يكتسب الكتاب قيمة علمية من عدة جوانب، وهي:

١. مكانة صحيح البخاري، وشرف الشرح يستفاد من شرف المشروح، ولا تخفى مكانة صحيح البخاري عند الأمة.

٢. أنه يعُدَّ من الشروح الكبيرة التي اعتنت بالصحيح، فقد وصفه العيدروس بقوله بعد أن أشار إلى تصانيفه: ((وَمن أجَلِّهَا شَرحه على صَحِيح البُخَارِيّ مزجاً في عشرَة أسفار كبار لَعَلَّه أحسن شروحه وأجمعها وألخصها"[٣]، وقال الشيخ عبد العزيز الدهلوي: ((ومن أعظم مؤلفاته هذا الشرح "إرشاد الساري" الذي لَخَّصَ فيه "فتح الباري"، و "شرح الكرماني"، واختصرهما اختصاراً تاماً، وجعله وسطاً بين الإيجاز والإطناب))[٤].

---

(١) قال ذلك الغزي في "الكواكب السائرة"، ١: ٧٨.

(٢) ينظر في ذلك: مصادر ترجمته؛ ومصطفى بن عبد الله المشهور باسم حاجي خليفة، "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون". (بغداد: مكتبة المثنى،١٩٤١م)، ١: ١، ٣٦٦، ٥٥٢، ٦٤٦، ٨٦٧، ٩١٩، ٢: ٩٦٠، ١٠٨٩، ١٢٣٢، ١٢٣٥، ١٣٣١، ١٥١٩، ١٥٣٤، ١٥٥١، ١٥٦٨، ١٦٦٢، ١٦٨٩، ١٧٩٩، ١٨٤٧، ١٨٩٦، ١٩٥٦، ١٩٣٨؛ يوسف بن إليان بن موسى سركيس، "معجم المطبوعات العربية والمعربة". (مصر: مطبعة سركيس ،١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م)، ٢: ١٥١١، ١٨٧٩.

(٣) العيدروس، "النور السافر"، ص: ١٦٤، وانظر: السيد صديق حسن القنوجي، "الحطة في ذكر الصحاح الستة". (ط:١، بيروت: دار الكتب التعليمية، ١٤٠٥هـ)، ص: ١٩٢؛ وحاجي خليفة، "كشف الظنون" ١: ٥٥٢.

(٤) ينظر: عبد العزيز بن الإمام ولي الله الدهلوي، "بستان المحدثين في بيان كتب الحديث وأصحابها الغر الميامين". نقله من الفارسية إلى العربي: د. محمد أكرم الندوي، (ط: ١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م)، ص: ٢٤١.

٣. أن شارحه من كبار الأئمة في عصره[١]، فما قيده في الكتاب سوى العقيدة، يعد من قبل التحقيق والتدقيق، قال الكتاني: ((وكان بعض شيوخنا يفضله على جميع الشروح من حيث الجمع، وسهولة الأخذ والتكرار والإفادة، وبالجملة فهو للمدرس أحسن وأقرب من " فتح الباري " فمن دونه))[٢].

٤. الدقة في ضبط الصحيح، فقد اعتنى بذكر فروق الروايات، معتمداً في ذلك على نسخة اليونيني، وفروعها، وغيرها من الروايات والشروح، فلا يترك فرقاً إلا ويشير إليه سواء كان ذلك في الأسانيد وصيغ الأداء أو المتون، وسواء كان الفرق مما يترتب عليه فائدة أم لا.

قال القسطلاني - رحمه الله - بعد أن ذكر عناية اليونيني بضبط روايات الجامع[٣]: ((وقد بالغ رحمه الله في ضبط ألفاظ الصحيح جامعًا فيه روايات من ذكرناه، راقمًا عليه ما يدل على مراده، .... ولقد عوّل الناس عليه في روايات الجامع لمزيد اعتنائه وضبصه ومقابلته على الأصول المذكورة وكثرة ممارسته له، .... فلهذا اعتمدت في كتابة متن البخاري في شرحي هذا عليه، ورجعت في شكل جميع الحديث وضبطه إسنادًا ومتنًا إليه، ذاكرًا جميع ما فيه من الروايات وما في حواشيه من الفوائد المهمات....وقد قابلت متن شرحي هذا إسنادًا وحديثًا على هذا الجزء المذكور من أوّله إلى آخره حرفًا حرفًا، وحكيته كما رأيته حسب طاقتي".

٥. احتوى الكتاب على ثروة لغوية حيث اعتنى بشرح الغريب من الألفاظ شرحاً تحليلياً، فيمكن أن يُستغنى به عن غيره، ولا يُستغنى بغيره عنه؛ لأنه اعتمد في ثنايا شرحه على تحليل كل كلمة، فيذكر ما فيها من اختلاف من حيث المعنى والإعراب وغير ذلك.

٦. تنوع مصادره في الكتاب إذ لا تخلو صفحة منه من ذكرٍ لاسم كتاب إما تصريحاً أو إشارة[٤].

---

(١) يظهر لنا ذلك من ثناء الأئمة عليه أثناء ترجمته؛ من ذلك قول العيدروس " النور السافر"، ص:١٠٦: " الْعلامَة الْحَافظ"، وقول الغزي في الكواكب السائرة (١٢٨/١): "الإمام العلامة، الحجة الرحلة الفهامة، الفقيه النبيه المقري المجيد المسند المحدث"، وقول ابن العماد في شذرات الذهب (١٦٩/١٠):" الإمام العلّامة الحجّة الرّحلة الفقيه المقرئ المسند"، وقول الكتاني في فهرس الفهارس (٩٦٧/٢):" الحافظ المسند ذي الاتقان".

(٢) ينظر: الكتاني، "فهرس الفهارس"، ٢: ٩٦٨.

(٣) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ٤٠.

(٤) سيأتي بيان ذلك في المبحث السادس.

٧. عناية المتأخرين بشرحه، وهذا يتضح من خلال طبعات الكتاب[١]، قال الدكتور عبد الكريم الخضير[٢]: ((لو نظرنا في عناية المتأخرين بالقسطلاني لوجدناها أكثر من عنايتهم بفتح الباري، فمطبعة بولاق التي يصحح فيها أئمة من كبار أهل العلم، ما طبعت فتح الباري إلا مرة واحدة، أما عمدة القاري فلم تطبعه ولا مرة، لكن لأهمية إرشاد الساري طبعته بولاق سبع مرات أربع منها مفرداً، والخامسة والسادسة والسابعة بحاشيته شرح النووي على مسلم، وفي الميمنية طُبع مرتين، وغير ذلك من الطبعات، هذا كله لم يأت من فراغ، وإنما لأهمية هذا الكتاب، فالذي يريد ضبط الصحيح، وإتقان ألفاظه، والفروق الدقيقة بين رواياته، فعليه بإرشاد الساري)).

المبحث الثالث: التعريف بالكتاب ومنهجه في الشرح

أولاً: التعريف بالكتاب.

- **عنوان الكتاب:**

قال القسطلاني في مقدمة كتابه:((وسميته "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري"))[٣].

- **الباعث على تأليفه:**

ذكر سبب تأليفه للكتاب بعد أن أثنى على صحيح البخاري بقوله: ((وإن كتاب البخاري الجامع قد أظهر من كنوز مطالبها العالية إبريز البلاغة، وأبرز وحاز قصب السبق في ميدان البراعة وأحرز،.....**ولطالما خطر في الخاطر المخاطر أن أعلق عليه شرحًا أمزجه فيه مزجًا وأدرجه ضمنه درجًا**، أميز فيه الأصل من الشرح بالحمرة والمداد واختلاف الروايات بغيرهما، ليدرك الناظر سريعًا المراد، فيكون باديًا بالصفحة مدركًا باللمحة كاشفًا بعد أسراره لطالبيه، رافع النقاب عن وجوه معانيه لمعانيه، موضحًا مشكله فاتحًا مقفله مقيدًا مهمله، وافيًا بتغليق تعليقه، كافيًا في إرشاد

---

(١) **طبعات الكتاب:**

١. المطبعة الأميرية ببولاق، مصر، سنة ١٢٧٦هـ.
٢. دار الطباعة العامرة، القاهرة، ١٢٨٥هـ، ١٠ مجلدات.
٣. المطبعة الأميرية، القاهرة، (سنة ١٢٨٨ هـ) في (١٠) مجلدات، وبهامشه «متن صحيح مسلم، وشرح النووي عليه».
٤. المطبعة الأميرية ببولاق، مصر، ط ٦، ١٣٠٦هـ، ١٠أجزاء في ٥ مجلدات.
٥. المطبعة الأميرية ببولاق، مصر، ط٧، ١٣٢٧هـ، ١٠ مجلدات، بيروت: دار إحياء التراث العربي، وبهامشه شرح النووي لمسلم.
٦. الطبعة الميمنية، (سنة ١٣٢٦ هـ) في (١٢) مجلداً.
٧. مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ١٤٠٨هـ، ٧مجلدات، تحقيق عطية عبد الرحيم عطية.
٨. مؤسسة دار الشعب، القاهرة، ١٤١٠هـ.
٩. طبعة دار الكتب العلمية، بيروت،١٤١٦هـ، ١٥ مج، ضبط وتصحيح: محمد عبد العزيز الخالدي.

انظر: محمد خير رمضان، "المعجم المصنف لمؤلفات الحديث الشريف". (ط:١، مكتبة الرشد، ١٤٢٣ه)، ١: ٣٥٨، ٣٨٠، محيي الدين عطية، صلاح الدين الحنفي، محمد خير رمضان، "دليل مؤلفات الحديث الشريف المطبوعة القديمة والحديثة". (دار ابن حزم، ١٤١٨ه)، ١: ٢٦٠.

(٢) انظر الموقع الرسمي لفضيلة الدكتور عبد الكريم الخضير، https://shkhudheir.com/book-detector/.

(٣) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ٣.

الساري لطريق تحقيقه، محررًا لرواياته معربًا عن غرائبه وخفياته،..... إلى أن قال ولم أزل على ذلك مدّة من الزمان، حتى مضى عصر الشباب وبان، **فانبعث الباعث إلى ذلك راغبًا**، وقام خطيبًا لبنات أبكار الأفكار خاطبًا، فشمرت ذيل العزم عن ساق الحزم، وأتيت بيوت التصنيف من أبوابها، وقمت في جامع جوامع التأليف بين أئمته بمحرابها، وأطلقت لسان القلم في ساحات الحكم بعبارة صريحة واضحة، وإشارة قريبة لائحة، لخصتها من كلام الكبراء الذين رقت في معارج علوم هذا الشأن أفكارهم، وإشارات الألباء الذين أنفقوا على اقتناص شوارده أعمارهم، وبذلت الجهد في تفهم أقاويل الفهماء المثار إليهم بالبنان، وممارسة الدواوين المؤلفة في هذا الشأن، ومراجعة الشيوخ الذين حازوا قصب السبق في مضماره، ومباحثة الحذاق الذين غاصوا على جواهر الفرائد في بحاره، ولم أتحاش عن الإعادة في الإفادة عند الحاجة إلى البيان، ولا في ضبط الواضح عند علماء هذا الشأن، قصدًا لنفع الخاص والعام، راجيًا ثواب ذي الطول والإنعام، فدونك شرحًا قد أشرقت عليه من شرفات هذا الجامع أضواء نوره اللامع، وصدع خطيبه على منبره السامي بالحجج القواطع، القلوب والمسامع، أضاءت بهجته فاختفت منه كواكب الدراري، وكيف لا وقد فاض عليه النور من فتح الباري))[1].

وقد فرغ من تأليفه وكتابته في يوم السبت سابع عشر ربيع الثاني سنة ست عشرة وتسعمائة[2].

- **نوع الشرح:**

سلك القسطلاني في شرحه أسلوب الشرح مزجاً[3] فقال في مقدمة كتابه: ((ولطالما خطر في الخاطر المخاطر **أن أعلق عليه شرحًا أمزجه فيه مزجًا** وأدرجه ضمنه درجًا، أميز فيه الأصل من الشرح بالحمرة والمداد واختلاف الروايات بغيرهما، ليدرك الناظر سريعًا المراد، فيكون باديًا بالصفحة مدركًا باللمحة كاشفًا بعد أستاره لطالبيه، رافع النقاب عن وجوه معانيه لمعانيه، موضحًا مشكله فاتحًا مقفله مقيدًا مهمله، وافيًا

(١) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ٢-٣.

(٢) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١٠: ٤٩٠.

(٣) قال حاجي خليفة في" كشف الظنون" عن أساليب الشرح ١: ٣٨: ((ثم إن أساليب الشرح على: ثلاثة أقسام.

الأول: الشرح: بقال أقول، (كشرح المقاصد)، و (شرح الطوالع) للأصفهاني، و (شرح العضد) .

وأما المتن: فقد يكتب في بعض النسخ بتمامه، وقد لا يكتب، لكونه مندرجا في الشرح بلا امتياز.

والثاني: الشرح: بقوله، (كشرح البخاري) لابن حجر، والكرماني، ونحوهما.

وفي أمثاله: لا يلتزم المتن، وإنما المقصود: ذكر المواضع المشروحة، ومع ذلك قد يكتب بعض النساخ متنه تماماً، إما: في الهامش، وإما: في المسطر، فلا ينكر نفعه.

والثالث: الشرح مزجاً، ويقال له: شرح ممزوج، يمزج فيه عبارة المتن والشرح، ثم يمتاز إما بالميم والشين، وإما بخط يخط فوق المتن، وهو طريقة أكثر الشراح المتأخرين من المحققين، وغيرهم، لكنه ليس بمأمون عن الخلط والغلط)).

بتغليق تعليقه، كافيًا في إرشاد الساري لطريق تحقيقه، محررًا لرواياته معربًا عن غرائبه وخفياته)).

وممن أشار إلى شرحه وكيفيته العيدروس بقوله بعد أن أشار إلى تصانيفه: ((وَمن أَجَلِّهَا شَرحه على صَحِيح البُخَارِيّ مزجاً في عشرَة أسفار كبار لَعَلَّه أحسن شروحه وأجمعها وألخصها"[1].

- **إسناده إلى البخاري:**

ذكر القسطلاني إسناده إلى الإمام البخاري رحمه الله في بداية كتابه قال: ((أخبرنا به وبما سبق – يعني بداية الكتاب - من أوّله إلى آخر الصحيح، الشيخ المسند رحلة الآفاق أبو العباس أحمد بن عبد القادر بن طريف بفتح الطاء المهملة الحنفي المتوفى سنة ثلاث وثمانين وثمانمائة وقد جاوز التسعين، بقراءتي عليه لجميع هذا الجامع في خمسة مجالس، وبعض مجلس متوالية مع ما أُعيد لمفوّتين أظنه نحو العشر آخر يوم الأحد ثامن عشر من شوّال سنة اثنتين وثمانين وثمانمائة.

قال أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد الدمشقي قراءة ..... [2].

- **الرواية التي اعتمد عليها:**

اعتنى الحافظ القسطلاني بذكر فروق الروايات بدقة، معتمداً في ذلك على نسخة اليونيني فلا يترك فرقاً إلا ويشير إليه سواء كان ذلك في الأسانيد وصيغ الأداء أو المتون، وسواء كان الفرق مما يترتب عليه فائدة أم لا.

قال في مقدمة كتابه[3]: ((وقد اعتنى الحافظ شرف الدين أبو الحسن عليّ ابن شيخ الإسلام ومحدّث الشام تقي الدين بن محمد بن أبي الحسين أحمد بن عبد الله اليونيني الحنبلي رحمه الله تعالى بضبط رواية الجامع الصحيح،.....إلى أن قال: وقد بالغ رحمه الله في ضبط ألفاظ الصحيح جامعًا فيه روايات من ذكرناه راقمًا عليه ما يدل على مراده..... فالله تعالى يثيبه على قصده، ويجزل له من المكرمات جوائز رفده، فلقد أبدع فيما رقم، وأتقن فيما حرر وأحكم. ولقد عوّل الناس عليه في روايات الجامع لمزيد اعتنائه وضبصه ومقابلته على الأصول المذكورة وكثرة ممارسته له،.....

<u>فلهذا اعتمدت في كتابة متن البخاري في شرحي هذا عليه، ورجعت في شكل جميع الحديث وضبطه إسنادًا ومتنًا إليه، ذاكرًا جميع ما فيه من الروايات وما في حواشيه</u>

(١) العيدروس، "النور السافر"، ص: ١٦٤؛ وانظر، صديق حسن، "الحطة"، ص: ١٩٢؛ وحاجي خليفة، "كشف الظنون"، ١: ٥٥٢.

(٢) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ٤٩-٥١.

(٣) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ٤٠ -٤١.

من الفوائد المهمات.

ثم وقفت في يوم الاثنين ثالث عشر جمادى الأولى سنة ست عشرة وتسعمائة بعد ختمي لهذا الشرح على المجلد الأخير من أصل اليونيني المذكور،..... إلى أن قال **وقد قابلت متن شرحي هذا إسنادًا وحديثًا على هذا الجزء المذكور – يعني نسخة الإمام النحوي ابن مالك - من أوّله إلى آخره حرفًا حرفًا، وحكيته كما رأيته حسب طاقتي، وانتهت مقابلتي له في العشر الأخير من المحرم سنة سبع عشرة وتسعمائة نفع الله تعالى به، ثم قابلته عليه مرة أخرى**. ..... ثم قال ثم وجد الجزء الأوّل من أصل اليونيني المذكور ينادى عليه للبيع بسوق الكتب، فعرف وأحضر إليّ بعد فقده أزيد من خمسين سنة، **فقابلت عليه متن شرحي هذا فكملت مقابلتي عليه جميعه حسب الطاقة ولله الحمد**.".

ثانياً: منهجه في الشرح:

▪ لخص الشرح من كتب لم يذكرها وهذا يفهم من قوله: ((وأطلقت لسان القلم في ساحات الحكم بعبارة صريحة واضحة، وإشارة قريبة لائحة، لخصتها من كلام الكبراء الذين رَقت في معارج علوم هذا الشأن أفكارهم، وإشارات الألباء الذين أنفقوا على اقتناص شوارده أعمارهم، وبذلت الجهد في تفهم أقاويل الفهماء المثار إليهم بالبنان، وممارسة الدواوين المؤلفة في هذا الشأن، ومراجعة الشيوخ الذين حازوا قصب السبق في مضماره، ومباحثة الحذاق الذين غاصوا على جواهر الفرائد في بحاره"[(١)]، ولكن المطالع للكتاب يلحظ تأثره بفتح الباري لابن حجر، وقد نص على عنايته بأربعة شروح هي: الفتح للحافظ ابن حجر، والعمدة للعيني، واللامع الصبيح للبرماوي ومصابيح الجامع للدماميني[(٢)].

▪ أشار القسطلاني إلى شروح صحيح البخاري وذكر عن بعضها: أنه طالعه[(٣)]، وعن بعضها أنه استوفى مطالعته[(٤)]، أو طالَعَ الكثير منه[(٥)]، أو وقف عليه[(٦)]، أو وقف على

(١) القسطلاني، "إرشاد الساري"،١: ٣.

(٢) القسطلاني، "إرشاد الساري"،١: ٤٣.

(٣) قال: ١: ٤١: ((وشرحه أيضًا الإمام أبو الحسن علي بن خلف المالكي المغربي المشهور بابن بطال، وغالبه في فقه الإمام مالك من غير تعرّض لموضوع الكتاب غالبًا وقد طالعته)).

(٤) قال: ١: ٤٢-٤٣: ((وكذا شرحه العلاّمة شمس الدين البرماوي في أربعة أجزاء أخذه من شرح الكرماني وغيره كما قال في أوّله: ومن أصوله أيضًا مقدمة فتح الباري وسماه اللامع الصبيح ولم يبيض إلا بعد موته، وقد استوفيت مطالعته كالكرماني))، ((وكذا شرح العلاّمة بدر الدين الدماميني وسماه مصابيح الجامع، وقد استوفيت مطالعتها كشرح العيني وابن حجر والبرماوي)).

(٥) قال: ١: ٤٢: ((وكذا شرحه العلاّمة السراج بن الملقن وقد طالعت الكثير منه)).

(٦) قال: ١: ٤٢: ((واختصره الجلال التباني وقد رأيته)).

جزء منه[1]، ومن جملة هذه الشروح التي ذكرها شرح: (الخطابي، ومحمد التيمي، وابن بطال، وأبو حفص الفوزني الإشبيلي، وأحمد بن محمد التيمي، وابن التين، والزين بن المنير، وأبو الأصبع الأسدي، والإمام عبد الكريم الحلبي الحنفي، والإمام مغلطاي التركي، ومختصر التباني، والكرماني، وولده يحيى، وابن الملقن، **والبرماوي**، وبرهان الدين الحلبي، والحافظ ابن حجر، والعيني، وبدر الدين الدماميني، والسيوطي، والنووي شرح قطعة من أوّله إلى آخر كتاب الإيمان، وابن كثير شرح قطعة من أوّله، والزين بن رجب الدمشقي، والعلاّمة السراج البلقيني، والبدر الزركشي في غير التنقيح مطوّلاً، والمجد الشيرازي اللغوي، وأبو الفضل النويري خطيب مكة شرح مواضع من البخاري، .....).

- يعيد شرح بعض العبارات فيقع في التكرار، ويوضح الواضح عند أهل الفن، لأنه أراد لكتابه أن يكون نافعاً للعامة والخاصة، قال: ((ولم أتحاش عن الإعادة في الإفادة عند الحاجة إلى البيان، ولا في ضبط الواضح عند علماء هذا الشأن، قصداً لنفع الخاص والعام ...))[2] .

- **مقدمة الشرح:**

قدم بين يدي الشرح بمقدمة نفيسة ذكر أنها "مشتملة على وسائل المقاصد يهتدي بها إلى الإرشاد السالك والقاصد، جامعة لفصول، هي لفروع قواعد هذا الشرح أصول.

وذكر في هذه المقدمة فصولاً خمسة:

الأول: في فضيلة أهل الحديث وشرفهم في القديم والحديث.

الثاني: في ذكر أوّل مَن دوّن الحديث والسُّنن ومَن تلاه في ذلك سالكًا أحسن السُّنن.

الثالث: في نبذة لطيفة جامعة لفرائد فوائد مصطلح الحديث عند أهله وتقسيم أنواعه وكيفية تحمله وأدائه ونقله مما لا بدّ للخائض في هذا الشرح منه لما علم أن لكل أهل فنّ اصطلاحًا يجب استحضاره عند الخوض فيه.

الرابع: فيما يتعلق بالبخاري وصحيحه، من تقرير شرطه، وتحريره، وضبطه، وترجيحه على غيره، كصحيح مسلم ومَن سار كسيره، والجواب عما انتُقِدَ عليه النقاد من الأحاديث ورجال الإسناد؛ وبيان موضوعه، وتفرده بمجموعه، وتراجمه البديعة المثال، المنيعة المنال؛ وسبب تقطيعة للحديث واختصاره، وإعادته له في الأبواب،

(١) قال: ١: ٤٣: ((وكذا شرح منه شيخ الإسلام أبو زكريا يحيى النووي قطعة من أوّله إلى آخر كتاب الإيمان طالعتها وانتفعت ببركتها، وكذا الحافظ ابن كثير قطعة من أوّله والزين بن رجب الدمشقي ورأيت منه مجلدة)).

(٢) القسطلاني، "إرشاد الساري"،١: ٣.

وتكراره، وعِدَّة أحاديثه الأصول والمكررة، حسبما ضبطه الحافظ ابن حجر وحرَّرَه.

الخامس: في ذكر نسب البخاري، ونِسبته، ومولده، وبدءِ أمره ونشأته، وطلبه للعلم، وذكر بعض شيوخه، ومن أخذ عنه ورحلته، وسعة حفظه، وسيلان ذهنه، وثناء الناس عليه بفقه وزهده، وورعه، وعبادته، وما ذُكِرَ من محنته، ومنحته بعد وفاته وكرامته.

- **منهجه في ضبط الألفاظ، وتحليلها:**

اعتنى - رحمه الله - بضبطِ ألفاظ الصَّحيح، وتحريرها (متناً) و (سنداً)، ويمكن إجمال عمله كالتالي:

- يشرح ويحرر جميع مفردات المتن.

- يبين اشتقاق بعض الكلمات التي يشرحها، كقوله عند حديث (الأعمال بالنيات): "(المنبر) وهو بكسر الميم من النبرة، وهي الارتفاع" [١].

- يبين إعراب الكلمات، ومثال ذلك إطالته في إعراب حديث (الأعمال بالنيات)[٢].

- يعتني بذكر اختلاف الروايات في لفظ الحديث، معتمداً على النسخة اليونينية، وفروعها، ونسخ أخرى؛ وذلك لأن لها أثراً كبيراً في بيان المراد لأن الروايات يفسر بعضها بعضاً، ومن ذلك: "قوله :(فكفأ) أي الإناء أي أماله، وفي نسخه فكفأه بالهاء، وللأصيل فكفأ بهمز أوله" [٣].

- يعمد أحياناً إلى بيان الواضح!،كقوله:"(فغسلهما ثلاثاً): أي ثلاث مرات "[٤]، وقد يجمل مايحتاج إلى بيان في بعض الأحيان، وإن كان هذا قليل جداً [٥].

- يعمد إلى ضبط الكلمات التي يشرحها بالحروف وقد يقع في ضبط الكلمة اختلاف فيشير إليه ثم يرجح غالباً، من ذلك قوله: (((وسمُرت أعينهم):بضم السين ، قال المنذري: وتخفيف الميم، أي كحلت بالمسامير المحماة، قال: وشددها بعضهم، والأول أشهر وأوجه))[٦].

- يشرح المفردات اللغوية أحياناً مستعيناً بالآيات القرآنية، من ذلك قوله: (((لا إلا أن تطوّع) فلا يلزمك إتمامه إذا شرعت فيه أو إلا إذا تطوّعت، فالتطوّع يلزمك إتمامه لقوله تعالى: {وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾}[٧])).[١]

---

(١) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ٥٢، وكذلك في توضيحه لمعنى (النيات)، وانظر على سبيل المثال: ١: ٥٨، ١١٣، ١١٨، ١٣٤.

(٢) القسطلاني، "إرشاد الساري"،١: ٥٢، وانظر على سبيل المثال: ١: ٥٨، ٧٣.

(٣) القسطلاني، "إرشاد الساري"،١: ٢٧٢، وانظر على سبيل المثال: ١: ٥٨، ٦٣.

(٤) القسطلاني، "إرشاد الساري"،١: ٢٧٢، وانظر على سبيل المثال: ١: ٢٩٠.

(٥) فمنه: قوله"(في مخضب): بكسر الميم من نحاس" القسطلاني، "إرشاد الساري"،١: ٢٧٥.

(٦) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ٣٠٠، وانظر مثلاً: ١: ٣١٨.

(٧) سورة محمد: ٣٣.

- **منهجه في ما يتعلق بكتب وأبواب الصحيح:**

- توضيح معنى الكتاب، كقوله في كتاب الحيض: هذا (كتاب) بيان أحكام (الحيض) وما يذكر معه من الاستحاضة والنفاس،.....وترجم بالحيض لكثرة وقوعه وله أسماء عشرة: الحيض، والطمث، والضحك، والإكبار، والإعصار، والدراس، والعراك، والفرا بالفاء، والطمس والنفاس،... [٢].

- بيان المراد من عنوان الباب كقوله في كتاب الإيمان، باب خَوْفِ الْمُؤْمِنِ مِنْ أَنْ يَحْبَطَ عَمَلُهُ وَهُوَ لاَ يَشْعُرُ: (((باب خوف المؤمن من أن يحبط) على صيغة المعلوم من باب علم يعلم (عمله) أي من حبط عمله وهو ثوابه الموعود به (وهو لا يشعر) به جملة اسمية وقعت حالاً، لا يقال: إن ما قاله المؤلف يقوّي مذهب الإحباطية؛ لأن مذهبهم إحباط الأعمال بالسيئات، وإذهابها جملة، فحكموا على العاصي بحكم الكافر، لأن مراد المؤلف إحباط ثواب ذلك العمل فقط؛ لأنه لا يُثاب إلا على ما أخلص فيه)) [٣].

- يوضح أحياناً سبب وضع المؤلف لهذا الباب كقوله في الحديث السابق: ((وهذا الباب وضعه المؤلف ردًّا على المرجئة، القائلين بأن الإيمان هو التصديق بالقلب فقط، المطلقين الإيمان الكامل مع وجود المعصية)) [٤].

- يوضح أحياناً تعلق الباب بالذي بعده كقوله مثلاً في باب قيام ليلة القدر من الإيمان: ((ولما كان التماس ليلة القدر يستدعي محافظة زائدة، ومجاهدة تامة، ومع ذلك فقد يوافقها، وقد لا يوافقها، وكان هذا المجاهد يلتمس الشهادة، ويقصد إعلاء كلمة الله تعالى ناسب أن يعقب المؤلف هذا الباب بفضل الجهاد استطرادًا فقال: باب الْجِهَادُ مِنَ الإِيمَانِ)) [٥].

- يشير في بعض الأحاديث إلى مطابقة الحديث للترجمة، من ذلك قوله في باب رَفْعِ الْبَصَرِ إِلَى الإِمَامِ فِي الصَّلاَةِ بعد أن ذكر الحديث وشرحه: ((ومطابقة الحديث للترجمة في قوله: رأيناك تكعكعت، لأن رؤية تكعكعه عليه الصلاة والسلام تدلّ على أنهم كانوا يراقبونه عليه الصلاة والسلام)) [٦].

---

(١) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ١٣٤، وانظر على سبيل المثال: ٣: ٣٠٧، ٤٢٩، ٨: ٢٩٤.

(٢) القسطلاني، "إرشاد الساري"،١: ٣٤٠، وأمثلة هذا كثير، وانظر على سبيل المثال ١: ٣٦٥، ٤٨٦.

(٣) القسطلاني، "إرشاد الساري"،١: ١٣٥، وأمثلة هذا كثير، وانظر على سبيل المثال ١: ١٣٨، ١٧٧، ٤٠١.

(٤) القسطلاني، "إرشاد الساري"،١: ١٣٥، وانظر مثلاً: ١: ١٧٧، ٣١٠، ٣: ٢١٩، ٤: ١٧٦.

(٥) القسطلاني، "إرشاد الساري"،١: ١٢١، وانظر مثلاً: ١: ٧١، ٢: ٢٥٨، ١٠: ٤٨٠.

(٦) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ٢: ٧٩، وانظر على سبيل المثال ٢: ١٧٠، ٥: ٥١.

- **طريقته في استنباط الأحكام والفوائد:**

اهتم رحمه الله اهتماماً كبيراً في استنباط الأحكام والفوائد من الأحاديث ويمكن إجمالها على النحو التالي:

- بيان ما اشتمل عليه الحديث من الأحكام سواء عقدية أو فقهية، كقوله مثلاً في شرح حديث (سباب المسلم فسوق...)، (المرجئة) بضم الميم وكسر الجيم ثم همزة، نسبة إلى الإرجاء، أي التأخير؛ لأنهم أخّروا الأعمال عن الإيمان حيث زعموا أن مرتكب الكبيرة غير فاسق، هل هم مصيبون فيها أو مخطئون؟...) (١).

- ذكر الفوائد المستنبطة من الحديث، كقوله في حديث أبي هريرة ﷺ في باب الجهاد من الإيمان: ((وفي الحديث استحباب طلب القتل في سبيل الله وفضل الجهاد)) (٢).

- **استدلاله على بعض المسائل الأصولية، من خلال أحاديث الصحيح، ومن ذلك:**

- قوله في حديث: (والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة) ... وهذا من لطيف النظر أن يقلب المعترض على المستدل دليله فيكون أحق به، ولذلك فعل أبو بكر، فسلم له عمر، وقاسه على الممتنع من الصلاة؛ لأنها كانت بالإجماع من رأي الصحابة، فرد المختلف فيه إلى المتفق عليه، فاجتمع في هذا الاحتجاج من عمر بالعموم، ومن أبي بكر بالقياس، فدلّ على أن العموم يخص بالقياس..))(٣).

- وفي حديث حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ ﷺ وفيه : ((.... أَسْلَمْتَ عَلَى مَا سَلَفَ مِنْ خَيْرٍ))....ويؤيد ظاهر هذا الحديث ما رواه الدارقطني في غرائب مالك من حديث أبي سعيد مرفوعًا: ((إذا أسلم الكافر فحسن إسلامه كتب الله له كل حسنة كان زلفها ومحا عنه كل سيئة كان زلفها، وكان عمله بعد ذلك الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف والسيئة بمثلها إلا أن يتجاوز الله عنها))، لكن هذا لا يتخرج على القواعد الأصولية؛ لأن الكافر لا يصح منه في حال كفره عبادة؛ لأن شرطها النية وهي متعذرة منه، وإنما يكتب له ذلك الخير بعد إسلامه تفضلاً من الله،.....)).(٤)

- وفي باب قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى:{أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنْفَ بِالأَنْفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ}(٥).....، وهذه الآية الكريمة وإن وردت في اليهود فإن

(١) القسطلاني، "إرشاد الساري"،١: ١٣٦، وانظر على سبيل المثال ١: ١٠٦، ١١٧، ١٣٨، ١٧٧.

(٢) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١٠: ١٢٢، وانظر على سبيل المثال ١: ١٣٥، ١٣٧، ١٣٨، ١٧٧.

(٣) القسطلاني، "إرشاد الساري"،٣: ٦، وانظر على سبيل المثال ١: ١٥٠.

(٤) القسطلاني، "إرشاد الساري"،٣: ٣٤.

(٥) المائدة: ٤٥.

حكمها مستمر في شريعة الإسلام لما ذهب إليه أكثر الأصوليين والفقهاء إلى أن شرع من قبلنا شرع لنا إذا حكي متقررًا ولم ينسخ، وقد احتج الأئمة كلهم على أن الرجل يقتل بالمرأة بعموم هذه الآية....))[١].

- ومسألة جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب، لا عن وقت الحاجة[٢].

- وقوله في الزكاة: ((الصحيح عند الأصوليين والفقهاء تكليف الكافر بالفروع؛ لأنه ما دام كافرًا فلا يجب عليه الإخراج حتى يسلم، فإذا أسلم سقطت؛ لأن الإسلام يجبّ ما قبله))[٣].

- ومسألة لا امتناع في تعدد العلل الشرعية على المرجح عند الأصوليين[٤].

- ومسألة الأمر المطلق لا يقتضي تكرارًا[٥].

- وقبول خبر الواحد[٦].

- ومسألة لا يقرّ على الخطأ في الأحكام، فإن قيل: هذا الحديث ظاهره أنه يقع منه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- حكم في الظاهر يخالف الباطن، وقد اتفق الأصوليون على أنه -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- لا يقرّ على الخطأ في الأحكام، فالجواب: أنه لا تعارض بين الحديث، وقاعدة الأصول؛ لأن مراد الأصوليين ما حكم فيه باجتهاده، هل يجوز أن يقع فيه خطأ؟ فيه خلاف، والأكثرون على أنه لا يخطئ في اجتهاده بخلاف غيره، وأما الذي في الحديث فليس من الاجتهاد في شيء لأنه حكم بالبيّنة ونحوها، فلو وقع منه ما يخالف الباطن لا يسمى الحكم خطأ، بل الحكم صحيح على ما استقر به التكليف وهو وجوب العمل بشاهدين مثلاً، فإن كانا شاهدي زور أو نحو ذلك فالتقصير منهما، وأما الحكم فلا حيلة له فيه ولا عيب عليه بسببه بخلاف ما إذا أخطأ في الاجتهاد[٧].

▪ **عنايته بفن مشكل الحديث فهو يذكر الحديث وما يعارضه في بعض المواضع، ويجيب عن ذلك،** كقوله: ((فإن قلت: إن ظاهر هذا يقتضي عدم دخول جميع من شهد الشهادتين النار لما فيه من التعميم والتأكيد، وهو مصادم للأدلة القطعية الدالّة على دخول طائفة من عصاة الموحدين النار ثم يخرجون بالشفاعة؟ أجيب: بأن هذا مقيد بمن يأتي بالشهادتين تائبًا ثم يموت على ذلك، أو أن المراد بالتحريم هنا تحريم الخلود لا

(١) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١٠: ٤٨، وانظر على سبيل المثال١: ١٤٢.
(٢) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ٧٠.
(٣) القسطلاني، "إرشاد الساري"،٣: ٥٢.
(٤) القسطلاني، "إرشاد الساري"،٨: ٢٨٧.
(٥) القسطلاني، "إرشاد الساري"،٧: ٣٠٥.
(٦) القسطلاني، "إرشاد الساري"،١: ٤١٨، ١٠: ٢٨٦.
(٧) القسطلاني، "إرشاد الساري"،١٠: ١٠٩.

أصل الدخول، أو أنه خرج مخرج الغالب؛ إذ الغالب أن الموحد يعمل بالطاعات ويجتنب المعاصي، أو من قال ذلك مؤديًا حقه وفرضه، أو المراد تحريم النار على اللسان الناطق بالشهادتين كتحريم مواضع السجود))[١].

- **منهجه في مناقشة المخالفين:**

تقدم بأن الغالب على الشرح الإيجاز والاختصار، إذ يختصر أقوال من سبقه من الشراح، ومع هذا فنجده يناقش ويحرر الأقوال، فمن ذلك:

- ذكره عند عرضه لمسائل الحديث للمذاهب الفقهية والعقدية[٢].

- ناقش بعض المسائل النحوية، فمن ذلك: ماجاء في شرحه على حديث الغار عند قول ورقة): ياليتني أكون حياً إذ يخرجك قومك) قال: "واستعمل(إذ) في المستقبل كـ(إذا) على حدِّ:} وأنذرهم يوم الحسرة إذ قضي الأمر{[٣]، قال ابن مالك: وهو صحيح، وتعقبه البلقيني بأن النحاة منعوه وروده، وأولوا ما ظاهره ذلك فقالوا في مثل هذا: استعمل الصيغة الدالة على المضي لتحقق وقوعه، فأنزلوا منزلته، ويتقوى ذلك هنا أن في رواية البخاري في التعبير (حين يخرجك قومك) وهو على سبيل المجاز"[٤].

- ينقل عن غيره ويناقش أقوالهم، فمن ذلك مانقله عن ابن المنير في حديث ابن عمر (كانت الكلاب تقبل وتدبر ..) قال: "وحينئذ فلا حجة فيه لمن استدل به على طهارة الكلاب، للاتفاق على نجاسة بولها. قاله ابن المنير، ولكن يقدح في نقل الاتفاق القول بأنها تؤكل، حيث صح عمن نقل عنه، وأن بول مايؤكل لحمه طاهر .."[٥].

- استفاد المؤلف كثيراً من فتح الباري للحافظ، فكان ينقل عنه في مواضع كثيرة، ويتصرف في النقل بالاختصار ونحوه[٦].

- وقد ينقل في مواضع تخطئه العيني لابن حجر دون تعقب، مما يعني تأييده لقول العيني[٧].

- بل كان يخالف الحافظ في مواضع، كما في مسألة الاستثناء في قوله علي –حين سأله أبو جحيفه: هل عندكم كتاب؟-:(لا، إلا كتاب الله، أو فهم أعطيه رجل مسلم ..)،

(١) القسطلاني، "إرشاد الساري"،١: ٢٢٠، وانظر على سبيل المثال ٣: ١٦٦، ٥: ٩٦.

(٢) سبق عرض أمثلة لذلك في مذهبه الفقهي والعقدي.

(٣) مريم (٣٩).

(٤) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ٦٦.

(٥) القسطلاني، "إرشاد الساري"،١: ٢٥٧، وينظر مثلاً ٤: ١١٦.

(٦) ينظر على سبيل المثال مسألة (ياليتني أكون حياً)، ومسألة نجاسة الكلاب –نراه قد نقلهما من الفتح بتصرف، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، "فتح الباري شرح صحيح البخاري". (بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ)، ١: ٢٦، ١: ٣٣٤.

(٧) (١/٧٠-٧٥).

قال القسطلاني: "وأما قول الحافظ بن حجر: (الظاهر أنه منقطع) فمدفوع بأنه لو كان من غير الجنس لكان قوله: (أو فهم) منصوباً، لأنه عطف على المستثنى، والمستثنى إذا كان من غير جنس المستثنى منه يكون منصوباً، وما عطف عليه كذلك على قوله(كتاب الله)" [1].

- احتوى كتابه على فرائد وفوائد جامعة في مصطلح الحديث، كقوله مثلاً: ((وهذا الحديث صورته صورة الإرسال))[2].

المبحث الرابع: منهجه في تراجم الرواة

١- حرص على ترجمة جميع رجال الإسناد حتى الصحابة، فيترجم للراوي أول ما يرد ترجمة مجملة، فمثلاً: ((قال: (حدّثنا عبد الله بن يوسف) التنيسي المنزل، الدمشقي الأصل، المتوفى سنة ثمان عشرة ومائتين، وفي يوسف تثليث السين مع الهمز، وتركه، ومعناه بالعبرانية جميل الوجه، (قال: أخبرنا مالك) هو ابن أنس الأصبحيّ إمام دار الهجرة بل إمام الأئمة، المتوفى سنة تسع وسبعين ومائة، (عن هشام بن عروة) بن الزبير بن العوام القرشي، التابعي، المتوفى سنة خمس وأربعين ومائة ببغداد...))[3].

٢- قد يطيل في ترجمة الراوي المتكلم فيه، فمثلاً قال: (((حدّثنا إسماعيل) بن أبي أُويس بن عبد الله الأصبحي المدني ابن أُخت إمام دار الهجرة مالك، وتكلم فيه كأبيه، لكن أثنى عليه ابن معين وأحمد، وقد وافقه على رواية هذا الحديث عبد الله بن وهب، ومعن بن عيسى عن مالك، وليس هو في الموطأ، قال الدارقطني: هو غريب صحيح، وأخرجه المؤلف أيضًا عن غيره فانجبر اللين الذي فيه، وتوفي إسماعيل هذا في رجب سنة سبع، أو ست وعشرين ومائتين))[4].

٣- إذا تكرر ذكر الراوي فإنه يترجم له بما يوضحه من لقب أو نسبة أو نحوها، ولا يهمله ولو كان مشهوراً معروفاً قد أكثر البخاري من التخريج له، كقوله في شرحه لباب (جواز التخفيف في الوضوء): "(علي ابن عبدالله)المديني، (قال حدثنا سفيان) بن عيينه، (عن عمرو)أي ابن دينار ..." [5]، وقد يعيد ترجمته في أكثر من موضع كما في ترجمة فليح بن سليمان الخزاعي[6].

---

(١) (٢٠٤/١)، وينظر مثلاً (٣٢٠/٣).

(٢) (٨/ ١٥٦)، وينظر مثلاً (١٢٤/١-٤٤٧)، (٤/ ٥)، كما خصه بفصل في مقدمة شرحه (٧/١).

(٣) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ٥٧.

(٤) القسطلاني، "إرشاد الساري"،١: ١٠٥، وانظر على سبيل المثال ٣: ١١٨-٢١٤.

(٥) القسطلاني، "إرشاد الساري"،١: ٢٣٠، وانظر مثلاً ١: ٢٤٨- ٢٤٩.

(٦) القسطلاني، "إرشاد الساري"،٣: ١١٨، ثم أعادها في المواضع التالية ٤: ٢١١، ٢٢١.

٤- يحرر القول في الراوي إذا كان الخلاف مؤثر، كقوله في حال قتادة: ((فإن قلت قتادة مدلس، ولم يصرح بالسماع عن أنس؛ أجيب بأنه قد صرح أحمد والنسائي في روايتهما بسماع قتادة له من أنس، فانتفت تهمة تدليسه عن أنس)) [(١)]، وكقوله في الفضل بن عنبسة: ((فإن قلت:تكلم فيه فكيف أخرج له؟ أجيب: بأنه ثقة، وانفراد ابن قانع بتضعيفه ليس بقادح، وليس ابن قانع بمقنع، وأورد المؤلّف الحديث من طريقه نازلاً، ثم أردفها بروايته عاليًا عن هشيم؛ لتصريح هشيم فيها بالإخبار، ثم أردفه بروايته عاليًا أيضًا، فقال: بالسند إليه))[(٢)].

٥- يذكر مايقع من المتفق والمفترق، كقوله في حديث إنما الأعمال بالنيات: (((حدّثنا الحميدي)..... وهو من أصحاب إمامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه أخذ عنه ورحل معه إلى مصر، فلما مات الشافعي رجع إلى مكة، وهو أفقه قرشي مكي أخذ عنه البخاري، وقيل ولذا قدمه، المتوفى سنة تسع عشرة ومائتين، وليس هو أبا عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح الحميدي صاحب الجمع بين الصحيحين))[(٣)].

٦- ينبه على ما وقع من التصحيف، كقوله مثلاً: (((عن أبي جمرة) بالجيم والراء للحموي، والمستملي، واسمه نصر بن عمران الضبعي، وللكشميهني أبي حمزة بالحاء والزاي، وهو تصحيف))[(٤)].

٧- يعتني بضبط أسماء الرواة بالحروف عناية فائقة، مع بيان أنسابهم، كقوله "(حدثنا الحميدي) بضم المهمله وفتح الميم، نسبه إلى جده الأعلى حميد، أو إلى الحميدات قبيلة، أو لحميد بطن من أسد بن عبد العزى .."[(٥)].

٨- يبين المهمل، كما في قوله عند قول البخاري (حدثنا حجاج) فقال: "هو ابن منهال السلمي الأنماطي، وليس هو حجاج بن محمد الأعور..) [(٦)].

(١) القسطلاني، "إرشاد الساري"،١: ٩٦.

(٢) القسطلاني، "إرشاد الساري"،٨: ٤٧١، وانظر على سبيل المثال ١: ٨٩، ١: ٤١٨، ٤: ١٢٥.

(٣) القسطلاني، "إرشاد الساري"،١: ٥١، وانظر مثلاً ٢: ٢٩٠، ٣: ٩٧.

(٤) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ٦: ٣٥٢، وانظر مثلاً ٥: ٩٦، وفي كثير من المواضع يشير إلى أنه تصحيف نقلاً عن ابن حجر، انظر مثلاً ٤: ٢٧٦، ٧: ٤٦٤.

(٥) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ٥١، وانظر مثلاً ١: ٦١.

(٦) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ٤: ١٢٥، وانظر مثلاً ١: ١٩٣، ٢٥٦.

المبحث الخامس: طريقته في الكلام على الأسانيد والمتون والحكم على الأحاديث

لما كان الكتاب، موضوع الشرح، هو صحيح البخاري، أصح كتاب بعد القرآن، وهو مما تلقته الأمة بالقبول، لم يتعرض القسطلاني رحمه الله للكلام على أسانيده ومتونه، فالكتاب شرحَ تحليليٌّ لألفاظِ الصحيح، وبيانٌ مُوجَزٌ لرجالِ الإسناد؛ فيمكن إجمال كلامه على الأسانيد والمتون في مايلي:

١. اعتنى رحمه الله بضبط صيغ الآداء، مثل:(حدثنا، عن)، وذكر الاختلافات الموجودة بين الروايات حتى أنه يذكر الاختلاف الدقيق بين الروايات في ذلك، كقوله عند قول البخاري في حديثٍ في كتاب العلم: قال البخاري: (وحدّثني) بالإفراد، وفي رواية ابن عساكر قال: وحدّثنا (إبراهيم بن المنذر) المدني، (قال: حدّثنا محمد بن فليح) المذكور، (قال: حدّثني) بالإفراد، وفي رواية الأصيلي وابن عساكر وأبي الوقت: حدّثنا (أبي) فليح، (قال: حدّثني) بالإفراد،...[(١)]، ومع اعتنائه ببيان صيغ الأداء فإنه يبين معانيها، كقوله: (أخبرني) بالإفراد هو لما قرأه بنفسه على شيخ وحده [(٢)].

٢. يبين اختلاف الروايات في سند الحديث ومتنه، فأما مايتعلق بالسند كقوله عند قول البخاري:(حدثنا الحميدي):"..ولغير أبوي ذر والوقت والأصيلي وابن عساكر(حدثنا الحميدي عبدالله بن الزبير كما في الفرع كأصله [(٣)].

وأما مايتعلق بالمتن، كقوله في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ .... أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ أَوْ نَفْسِهِ»....(خالصًا) من الشرك، زاد في رواية الكشميهني وأبي الوقت مخلصًا (من قلبه أو نفسه) شك من الراوي، وقد يكتفى بالنطق بأحد الجزأين من كلمتي الشهادة لأنه صار شعارًا لمجموعهما[(٤)].

٣. يعتني بتخريج حديث الباب في آخر الشرح غالباً، ولكن بإيجاز، وهذا عام في جميع الشرح في الجملة، من ذلك: قوله بعد شرح حديث عمر وعمار رضي الله عنهما في التيمم: "وأخرجه المؤلف في الطهارة، وكذا مسلم، وأبو داود، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه" [(٥)].

---

(١) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ١٥٤، وأمثلة هذا كثير فلا يكاد يخلو حديث من ذلك ١: ١٦٨، ٢: ٢٠٣، ٣: ٢٦٢، ٤: ٦،....

(٢) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ٥١، وأمثلة هذا كثير، انظر على سبيل المثال ١: ١٥٦-١٦٩.

(٣) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ٥١، وأمثلة هذا كثير، انظر على سبيل المثال ١: ١٧١-١٨١.

(٤) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ١٩٥، وأمثلة هذا كثير، انظر على سبيل المثال ١: ٢١٦-٢٤٩.

(٥) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ٣٧١.

٤. كما اعتنى أيضاً بتخريج البخاري للحديث في مواضع أخرى من صحيحه، من ذلك قوله في حديث سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ مرفوعاً: ((إِنَّكَ لَنْ تُنْفِقَ نَفَقَةً تَبْتَغِي بِهَا وَجْهَ اللَّهِ إِلاَّ أُجِرْتَ عَلَيْهَا، حَتَّى مَا تَجْعَلُ فِي فَمِ امْرَأَتِكَ.....وهذا الحديث المذكور في الباب قطعةَ من حديث طويل مشهور، أخرجه المؤلف في الجنائز، والمغازي، والدعوات، والهجرة، والطب، والفرائض، ومسلم في الوصايا، وأبو داود والترمذي فيها أيضًا، وقال: حسن صحيح))[(١)].

٥. يبين نكت الإسناد ولطائفه في آخر الشرح كأن يكون الإسناد كله كوفيين أو مدنيين، وهكذا، كقوله في حديث نزول الوحي: "ورواة هذا الحديث مدنيون إلا شيخ المؤلف، وفيه تابعيان، ورواته ما بين مروزي، وبصري، ومدني" [(٢)].

٦. يورد أحكام الأئمة على الأحاديث التي يوردها في شرحه، ومن ذلك ما قاله خلال شرحه لحديث (الأعمال بالنيات): "وقد رواه من الصحابة غير عمر، قيل نحو عشرين صحابياً، فذكره الحافظ أبو يعلى القزويني ...ثم قال: هذا غير محفوظ عن زيد بن أسلم بوجه، فهذا ما أخطأ فيه الثقة .....وقد اتفق على أنه لايصح مسنداً إلا من رواية عمر"[(٣)].

المبحث السادس: مصادره ومراجعه

▪تنوعت مصادره في الكتاب، إذ لا تخلوا صفحة منه من ذكر لاسم كتاب إما تصريحاً أو إشارة، فقد لخص الشرح من كتب لم يذكرها، وهذا يفهم من قوله: ((وأطلقت لسان القلم في ساحات الحكم بعبارة صريحة واضحة، وإشارة قريبة لائحة، لخصتها من كلام الكبراء الذين رَقت في معارج علوم هذا الشأن أفكارهم، وإشارات الألباء الذين أنفقوا على اقتناص شوارده أعمارهم، وبذلت الجهد في تفهم أقاويل الفهماء المثار إليهم بالبنان، وممارسة الدواوين المؤلفة في هذا الشأن، ومراجعة الشيوخ الذين حازوا قصب السبق في مضماره، ومباحثة الحذاق الذين غاصوا على جواهر الفرائد في بحاره"[(٤)]، ولكن المطالع للكتاب يلحظ تأثره بفتح الباري لابن حجر، وقد نص على عنايته بأربعة شروح هي: الفتح للحافظ ابن حجر، والعمدة للعيني، واللامع الصبيح للبرماوي، ومصابيح الجامع للدماميني[(٥)].

(١) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ١٥٠، وانظر على سبيل المثال ١: ٢٨٤، ٣٨٢.
(٢) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ٢٥٦، وأمثلة هذا كثير، انظر على سبيل المثال ١: ٣٨٦-٣٨٨.
(٣) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ٥٧، وأمثلة هذا كثير، وانظر على سبيل المثال ١: ٩٢-٣٩٧.
(٤) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ٣.
(٥) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ٤٣.

▪كما أشار القسطلاني في مقدمته إلى شروح صحيح البخاري وذكر عن بعضها: أنه طالعه[١]، وعن بعضها أنه استوفى مطالعته[٢]، أو طالَعَ الكثير منه[٣]، أو وقف عليه[٤]، أو وقف على جزء منه[٥]، ومن جملة هذه الشروح التي ذكرها شرح: (الخطابي، ومحمد التيمي، وابن بطال، وأبو حفص الفوزني الإشبيلي، وأحمد بن محمد التيمي، وابن التين، والزين بن المنير، وأبو الأصبع الأسدي، والإمام عبد الكريم الحلبي الحنفي، والإمام مغلطاي التركي، ومختصر التباني، والكرماني، وولده يحيى، وابن الملقن، والبرماوي، وبرهان الدين الحلبي، والحافظ ابن حجر، والعيني، وبدر الدين الدماميني، والسيوطي، والنووي شرح قطعة من أوّله إلى آخر كتاب الإيمان، وابن كثير شرح قطعة من أوّله، والزين بن رجب الدمشقي، والعلاّمة السراج البلقيني، والبدر الزركشي في غير التنقيح مطوّلاً، والمجد الشيرازي اللغوي، وأبو الفضل النويري خطيب مكة شرح مواضع من البخاري، .....).

فمن مصادره على سبيل المثال لا الحصر في:

- **شروح الحديث**

- شرح صحيح البخارى لابن بطال[٦].
- المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، للنووي[٧].
- المفهم، للقرطبي[٨].
- الميسر في شرح مصابيح السنة، للتُّورِبِشْتِي[٩].
- إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام، لابن دقيق العيد[١٠].
- شرح الطيبي على مشكاة المصابيح المسمى بـ (الكاشف عن حقائق السنن)، للطيبي[١١].

---

(١) قال القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ٤١: ((وشرحه أيضًا الإمام أبو الحسن علي بن خلف المالكي المغربي المشهور بابن بطال، وغالبه في فقه الإمام مالك من غير تعرّض لموضوع الكتاب غالبًا وقد طالعته)).

(٢) قال القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ٤٢-٤٣: ((وكذا شرحه العلاّمة شمس الدين البرماوي في أربعة أجزاء أخذه من شرح الكرماني وغيره كما قال في أوّله: ومن أصوله أيضًا مقدمة فتح الباري وسماه اللامع الصبيح ولم يبيض إلا بعد موته، وقد استوفيت مطالعته كالكرماني))، ((وكذا شرح العلاّمة بدر الدين الدماميني وسماه مصابيح الجامع، وقد استوفيت مطالعتها كشرح العيني وابن حجر والبرماوي)).

(٣) قال القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ٤٢: ((وكذا شرحه العلاّمة السراج بن الملقن وقد طالعت الكثير منه)).

(٤) قال القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ٤٢: ((واختصره الجلال التباني وقد رأيته)).

(٥) قال القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ٤٣: ((وكذا شرح منه شيخ الإسلام أبو زكريا يحيى النووي قطعة من أوّله إلى آخر كتاب الإيمان طالعتها وانتفعت ببركتها، وكذا الحافظ ابن كثير قطعة من أوّله والزين بن رجب الدمشقي ورأيت منه مجلدة)).

(٦) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ٧٨.

(٧) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ٧٣.

(٨) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ١١١.

(٩) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ٣: ١١٣.

(١٠) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ٢٤٥.

(١١) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ٣: ١١٣.

- الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، للكرماني[١].
- انتقاض الاعتراض في الرد على العيني في شرح البخاري، لابن حجر العسقلاني[٢].
- شرح الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، لابن دقيق العيد[٣].
- شرح عبد الواحد بن التين السفاقسي على الصحيح[٤].

- **الفقه الشافعي:**

- روضة الطالبين وعمدة المفتين، للنووي[٥].
- المجموع شرح المهذب، للنووي[٦].
- الحاوي الكبير في فقه مذهب الإمام الشافعي، للماوردي[٧].

- **التفسير:**

- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لابن جرير الطبري[٨].
- الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، للزمخشري[٩].
- تفسير مجاهد[١٠].
- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، للبيضاوي[١١].
- الكشف والبيان عن تفسير القرآن، للثعلبي[١٢].
- تفسير القرآن العظيم، لابن كثير[١٣].
- تفسير مقاتل بن سليمان[١٤].
- الدر المنثور، السيوطي[١٥].

(١) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ٣: ٢٢٢.
(٢) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ٤٤.
(٣) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ٥٥.
(٤) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ٢٢٩.
(٥) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ١٢٦.
(٦) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ٥٤.
(٧) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ٢: ٣٩٩.
(٨) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ٧٠.
(٩) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ٢: ٤٥١.
(١٠) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ٨٩.
(١١) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ١٢٧.
(١٢) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ٢: ٢٨٨.
(١٣) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ٧: ٨٩.
(١٤) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ٧: ١٩٧.
(١٥) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ٧: ٢٠٠.

- **الفقه حنبلي:**

- التنقيح المشبع في تحرير أحكام المقنع، للقاضي المرداوي[١].
- المغني، لابن قدامة[٢].
- العدة شرح العمدة، لأبي محمد بهاء الدين المقدسي[٣].

- **الفقه حنفي:**

- الهداية في شرح بداية المبتدي، للمرغيناني[٤].
- المحيط البرهاني في الفقه النعماني فقه الإمام أبي حنيفة، لأبي المعالي برهان الدين بن مَازَةَ البخاري[٥].
- الاختيار لتعليل المختار، لأبي الفضل الحنفي[٦].

- **الغريب:**

- الفائق في غريب الحديث والأثر، للزمخشري[٧].
- النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير[٨].
- القاموس المحيط، للفيروزآبادى[٩].
- كتاب العين، للفراهيدي[١٠].
- المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده[١١].
- غريب القرآن، محمد بن عُزير السجستاني[١٢].
- غريب الحديث، الخطابي[١٣].

- **الصحابة:**

- أسد الغابة، لابن الأثير[١٤].
- معرفة الصحابة، لأبي نعيم[١٥].

---

(١) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ٢: ١٩٣.
(٢) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ٢٤٧.
(٣) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ٣: ٣٢٦.
(٤) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ٢٧٢.
(٥) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ٢: ١٦٦.
(٦) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ٤: ١٢٢.
(٧) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ١٦٠.
(٨) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ٢: ٢٠٤.
(٩) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ٢: ٤٥٢.
(١٠) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ٣: ٢٨٨.
(١١) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ٤: ٨٨.
(١٢) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ٧: ٣٣٤.
(١٣) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ٨: ٩٦.
(١٤) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ٢: ٣٤٣.
(١٥) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ٨: ١٨٨.

- معرفة الصحابة، لابن منده[١].

- **متون الحديث:**

- أخبار مكة وما جاء فيها من الأثار، للأزرقي[٢].
- الطهور، لأبي عُبيد القاسم بن سلاّم[٣].
- المجالسة وجواهر العلم، للدينوري[٤].

- **السيرة والشمائل:**

- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، لابن سيد الناس[٥].

- **التراجم والطبقات:**

- الإرشاد في معرفة علماء الحديث، لأبي يعلى الخليلي[٦].
- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، للذهبي[٧].
- الكاشف، للذهبي[٨].
- تذهيب التهذيب، للذهبي[٩].
- ميزان الاعتدال، للذهبي[١٠].
- تقريب التهذيب، لابن حجر العسقلاني[١١].

- **العقيدة:**

- آكام المرجان في أحكام الجان، لأبي عبدالله الشبلي الحنفي[١٢].

(١) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ٢: ٣٨١.
(٢) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ٢: ٣٩٣.
(٣) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ٣٠١.
(٤) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ٥: ٣١٣.
(٥) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ٦: ٤٥٩.
(٦) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ٣: ٣١٧.
(٧) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ٣١.
(٨) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ٦: ٤٤٧.
(٩) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ٨: ٤٠٩.
(١٠) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ٩: ١٥٧.
(١١) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١٠: ٣٩٢.
(١٢) القسطلاني، "إرشاد الساري"، ٥: ٢٩٦.

طريقة نقله من تلك المصادر:

-النقل باختصار، مع العزو إلى الكتاب[١].

-النقل دون الإشارة إلى ذلك[٢].

(١) انظر على سبيل المثال القسطلاني، "إرشاد الساري"، ١: ٥٧، ١٢٠، ٤: ١١٧، ١٦١، ٦: ٢٧٧، ٣٦٤، ٨: ١١٨، ٤٠٩، ١٠: ٣٤٧، ٤٨٤.

(٢) قال العيدروس في "النور السافر"، ص ١٠٧، في ترجمة القسطلاني، "إرشاد الساري"، : (ويحكى أن الحافظ السيوطي كان يغضُّ منه، ويزعم أنه يأخذ من كتبه ويستمدُّ منها، ولا ينسبُ النقلَ إليها، وأنه ادَّعى عليه بذلك بين يدي شيخ الإسلام زكريا (الأنصاري)، فألزمه ببيان مُدَّعاه، فعدَّد مواضع قال: إنه نقل فيها عن البيهقي، وقال: إن للبيهقي عدَّةَ مؤلفات فليذكر لنا ذكرَ في أي مؤلفاته؟ لنعلم أنه نقل عن البيهقي.

ولكنه رأى في مؤلفاتي ذلك النقل عن البيهقي فنقله برُمَّته، وكان الواجب عليه أن يقول: نقل السيوطي عن البيهقي.

- وقد ذكر الكتاني في "فهرس الفهارس" ٢: ٩٦٩، وكذا ذكر مثله حاجي خليفة في "كشف الظنون" ١: ٧٠٥، أن الحافظ السيوطي ألف مقامة عجيبة في قضاياه مع المترجم (القسطلاني، "إرشاد الساري") سماها " الفارق بين المصنف والسارق " في نحو كراسة -

وحكى الشيخ جار الله ابن فهد أن الشيخ - رحمه الله - قصد إزالة ما في خاطر الجلال السيوطي فمشى من القاهرة إلى الروضة إلى باب السُّيوطي، ودقَّ الباب فقال له: مَن أنت؟ فقال: أنا القسطلاني، "إرشاد الساري"، جئتُ إليك حافياً، مكشوف الرأس؛ ليطيب خاطرُك عليَّ، فقال له: قد طابَ خاطري عليك ولم يفتح له الباب، ولم يقابله.

وبالجملة فإنه كان إماماً حافظاً مُتقِناً، جليلَ القدر، حسَنَ التقرير والتحرير، لطيفَ الإشارة، بليغَ العبارة، حسنَ الجمع والتأليف، لطيفَ الترتيب والترصيف، زينةَ أهل عصره ونقاوةَ ذوي دهرِه، ولا يقدحُ فيه تحاملُ معاصريه عليه، فلا زالتْ الأكابر على هذا في كل عصر).

الخاتمـــــــــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تبلغ الغايات، وتنال الدرجات العاليات في الجنات، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبـــده ورســـوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد، فـــإن من أهم ما خلصت إليه في هذا البحث المختصر، حول منهج القسطلاني في شرحه:

١.كون هذا الشرح من أهم شروح صحيح البخاري وأجمعها وألخصها.

٢.سلك القسطلاني في شرحه أسلوب الشرح مزجاً، فتعددت علومـــه وثقافتـــه اللغويـــة والبلاغية والأدبية والحديثية والفقهية.

٣.قدم بين يدي الشرح بمقدمة نفيسة ذكر أنها "مشتملة على وسائل المقاصد يهتدي بهـــا إلى الإرشاد السالك والقاصد، جامعة لفصول، هي لفروع قواعد هذا الشرح أصول".

٤.عناية القسطلاني في شرحه هذا في ضبط روايات الصحيح حيث اعتنى بذكر فروق الروايات معتمداً في ذلك على نسخة اليـــونيني وفروعهـــا وغيرهـــا مـــن الروايـــات والشروح.

٥.تنوع مصادره في الكتاب إذ لا تخلو صفحة منه من ذكر لاسم كتاب إما تصريحاً أو إشارة.

٦.عنايته بتراجم الرجال، وضبطها، وتحريرها.

٧.عنايته بفن مشكل الحديث فهو يذكر الحديث وما يعارضه فـــي بعـــض المواضـــع، ويجيب عن ذلك.

٨.احتوى كتابه على فرائد وفوائد جامعة في مصطلح الحديث.

فهرس المصادر

١. ابن الجزري، محمد بن محمد."غاية النهاية في طبقات القراء".(ط:١، ج.برجستراسر: مكتبة ابن تيمية، ١٣٥١هـ).

٢. ابن العماد، عبد الحي بن أحمد."شذرات الذهب في أخبار من ذهب". تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط. (ط:١، دمشق: دار بن كثير، ١٤٠٦هـ).

٣. حاجي خليفة، مصطفى بن عبد الله. "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون". (بغداد: مكتبة المثنى،١٩٤١م).

٤. الدهلوي، عبد العزيز بن الإمام ولي الله. "بستان المحدثين في بيان كتب الحديث وأصحابها الغر الميامين". نقله من الفارسية إلى العربي: د. محمد أكرم الندوي. (ط: ١، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م).

٥. الزركلي، خير الدين بن محمود." الأعلام". (ط:١٥، دار العلم للملايين٢٠٠٢ م).

٦. الساعاتي، إلياس بن أحمد. "إمتاَعُ الفُضَلاء بتَراجِم القرّاء فِيما بَعدَ القَرن الثامِن الهِجري". تقديم: محمَّد تميم الزّعبي. (ط:١، دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠ م).

٧. السخاوي، محمد بن عبد الرحمن."الضوء اللامع لأهل القرن التاسع". (بيروت: دار مكتبة الحياة).

٨. سركيس، يوسف بن إليان."معجم المطبوعات العربية والمعربة".(مصر: مطبعة سركيس،١٣٤٦ هـ - ١٩٢٨ م).

٩. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر."نظم العقيان في أعيان الأعيان". تحقيق: فيليب حتي. (بيروت: المكتبة العلمية).

١٠. الشوكاني، محمد بن علي. "البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع". (بيروت: دار المعرفة).

١١. العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر."فتح الباري شرح صحيح البخاري".(بيروت: دار المعرفة، ١٣٧٩هـ).

١٢. العيدروسي، عبد القادر بن شيخ. "النور السافر عن أخبار القرن العاشر". تحقيق: أحمد حالو، محمود الأرنؤوط، أكرم البوشي. (ط:١، بيروت:دار صادر، ٢٠٠١م).

١٣. الغزي، محمد بن عبد الرحمن. "ديوان الإسلام". تحقيق: سيد كسروي حسن. (ط:١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠ م).
١٤. الغزي، محمد بن محمد."الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة".وضع حواشيه: خليل منصور. (ط:١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٨هـ).
١٥. القسطلاني، أحمد بن محمد. "إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري". (ط:٧، مصر: المطبعة الكبرى الأميرية، ١٣٢٣ هـ).
١٦. القنوجي، صديق حسن. "الحطة في ذكر الصحاح الستة". (ط:١، بيروت: دار الكتب التعليمية، ١٤٠٥ه)ـ.
١٧. الكتاني، عبد الحي بن عبد الكبير. "فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات". تحقيق: د. إحسان عباس. (ط:٢، بيروت: دار العربي الإسلامي، ١٤٠٢هـ).
١٨. كحالة، عمر رضا. "معجم المؤلفين تراجم مصنفي الكتب العربية". (مؤسسة الرسالة).
١٩. محمد خير رمضان. "المعجم المصنف لمؤلفات الحديث الشريف". (ط:١، الرياض: مكتبة الرشد، ١٤٢٣هـ).
٢٠. محيي الدين عطية، صلاح الدين الحنفي، محمد خير رمضان. "دليل مؤلفات الحديث الشريف المطبوعة القديمة والحديثة". (دار ابن حزم،١٤١٨هـ).
٢١. اليعمري، إبراهيم بن علي."الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب". (بيروت: دار الكتب العلمية).